
عنوان الورقة :

جسدٌ واحدٌ من خلال نظرية الصفة

مقدمها :

الدكتور / عبد الإله بن إبراهيم الحيزان

ملخص الورقة

تتفاوت طبيعة العلاقات القائمة بين أطراف العملية الخيرية الثلاثة والمثلة أولاً بالجهة الخيرية التي قد تكون مؤسسة عامة مرخص لها قانونياً أو فرد أو مجموعة أفراد من المتطوعين ويقف بإزاء ذلك الطرف الثاني وهو المعنى بالعملية الخيرية وهو المستفيد الذي قد يكون فقيراً أو صاحب حاجة محددة بخدمة معينة من الجهة الخيرية .. وثالث هذه الأطراف الجهة الداعمة للعمل الخيري أفراد أو مؤسسات أهلية أو جهات حكومية.. وتهدف هذه الورقة إلى تأسيس علاقة تنمية مستدامة ذات أسس وقواعد وأساليب ضمن إطار المعالجة النبوية لمسألة الفقر والفقراء في مجتمع المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام.

وهذه المعالجة تقوم على أساليب مختلفة منها أسلوب الصفة (الظلة) التي كانت في ناحية من المسجد النبوي يؤوي إليها الفقراء وأصحاب الحاجة..

وهذه الورقة تمثل دراسة أولية تهدف إلى تأسيس نظرية للفقراء مستمدة من أسلوب أهل الصفة في المجتمع المدني وهي في نتائجها ستؤدي إلى تعزيز وتمتين علاقة الاتصال والتواصل بين أطراف العملية الخيرية الثلاثة.

المقدمة :

الحمد لله والصلاة على محمد بن عبد الله وآله وصحبه أجمعين ومن سار على هديه واتبع سنته إلى يوم الدين ...

لقد أصبحت قضية الفقرها جس البشرية وشغلها الشاغل، وأحد أبرز قضايا التنمية المستدامة اجتماعيا إذ أن الإنسان هو جوهر التنمية وهدفها النهائي. وتعتبر المساواة الاجتماعية أحد أهم قضايا التنمية المستدامة في بعدها الاجتماعي، وتهدف هذه المساواة إلى تمكين أفراد المجتمع على حد سواء من فرص الحصول على العمل والخدمات العامة ومنها الصحة العامة التي تتمثل في توفر مياه شرب نظيفة وغذاء صحي ورعاية صحية دقيقة ومن ذلك التعليم الجيد، وتوفير المسكن والملجأ المناسب فضلا عن الأمن الاجتماعي والعدالة التي تعتبر من أهم احتياجات التنمية المستدامة.

ولذا لم يعد مفهوم الفقر قاصراً على عدم كفاية الدخل لتأمين الحد الأدنى من الاحتياجات الأساسية من السلع والخدمات، بل امتد ليشمل تدني مستوى التعليم والأمية وغياب الرعاية الصحية وسوء التغذية والتمييز والاستبعاد الاجتماعي.. بل وسلب حقوق الإنسان التي تضمن له العيش الكريم والقيام بدوره الإيجابي داخل المجتمع... "فالفقر يتخذ أشكالاً متنوعة تتضمن انعدام الدخل والموارد المنتجة الكافية لضمان مستوى معيشي لائق؛ والجوع وسوء التغذية؛ وسوء الصحة؛ والوصول المحدود أو المعدوم إلى التعليم وغيره من الخدمات الأساسية؛ وازدياد انتشار الأمراض والوفيات بسبب المرض؛ وانعدام المأوى والسكن غير المناسب؛ والعيش في بيئة غير آمنة؛ والتمييز والاستبعاد الاجتماعيين... وانعدام المشاركة في صنع القرارات وفي الحياة المدنية والاجتماعية والثقافية". { الفقرة ١٩ من الفصل الثاني (استئصال شأفة الفقر) من برنامج عمل مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية (تقرير مؤتمر القمة العالمي للتنمية الاجتماعية، كوبنهاغن، ٦- ١٢ آذار/مارس ١٩٩٥) }.

لقد ارتبط مفهوم الفقر ارتباطاً جوهرياً بحقوق الانسان ، فالإقصاء والتهميش ومسّ كرامة الإنسان، وانتهاك حقوقه في العمل والدخل المناسب والعيش الكريم والتعليم والصحة ، والحقوق الاجتماعية والسياسية الأخرى ومايتفرع منها بعض من قسّمات الفقر في المجتمعات المدنية ، وقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان (١٩٤٨) في المادة ٢٥ على أن "لكل شخص الحق في مستوى من المعيشة كاف للمحافظة على الصحة والرفاهية له ولأسرته ويتضمن ذلك التغذية والملبس والسكن والعناية الطبية وكذلك الخدمات الاجتماعية اللازمة، وله الحق في تأمين معيشته في حالات البطالة والمرض والعجز والترمل والشيخوخة وغير ذلك من فقدان وسائل العيش نتيجة لظروف خارجة عن إرادته".

ومنذ عام ١٩٩٣ اعتمدت الأمم المتحدة يوم ١٧ تشرين الأول/أكتوبر من كل عام يوماً عالمياً للقضاء على الفقر تحتفل به سنوياً بهدف تعزيز الوعي حول الحاجة للحد من الفقر والفقر المدقع في كافة البلدان وخاصة البلدان النامية منها.

وفي مؤتمر قمة الألفية الذي انعقد في أيلول/سبتمبر ٢٠٠٠، أقرت ١٩١ دولة إعلان الألفية الذي حدد أهداف يعينها تتعلق بعملية التنمية والقضاء على الفقر، وقد تعهد المؤتمر بتخفيض عدد الذين يعيشون في فقر مدقع - الذين يعيشون على أقل من دولار في اليوم- إلى النصف بحلول عام ٢٠١٥م.

وقررت الجمعية العمومة للأمم المتحدة (رقم ٥٣ / ١٩٧ / وتاريخ ١٢ / ١٥ / ١٩٩٨م) إعلان سنة ٢٠٠٥م السنة الدولية للأتمانات الصغيرة.

أما الاعلان الاسلامي لحقوق الانسان وكرامته فقد جاء منذ فجر الاسلام قال تعالى: (ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً) {الاسراء: ٧٠}.. ولقد اهتم الاسلام بالانسان وجعله مدار التكليف واهتمت الشريعة بحقوقه دون تمييز. فكفل له حق المساواة وحق الحياة وحقه في العيش بأمان وحق الكرامة

والعدالة والحق في الرأي وحرية التعبير... إلخ} للاستزادة أنظر كتاب حقوق الانسان في الاسلام
د. عبد اللطيف بن سعيد الغامدي - أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ٢٠٠٠م}

وفي سياق الحديث عن الجهود العالمية في مكافحة الفقر.. فعلى الصعيد المحلي جاءت الزيارة -
غير المسبوقة - التي قام بها خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز عندما كان
ولياً للعهد لبعض الاحياء الفقيرة في مدينة الرياض في السادس عشر من شهر رمضان لعام
١٤٢٣هـ وصدور الامر السامي الكريم بتكوين فريق عمل لوضع "استراتيجية وطنية شاملة
لمعالجة الفقر في المملكة" وأعقب ذلك التوجيه بتخصيص «ملياري ريال» للاسكان الشعبي،
وإنشاء «الصندوق الوطني لمعالجة الفقر»، جاءت هذه الزيارة لتعطي بعداً جديداً في التعامل مع
الفقر في المجتمع السعودي ونقطة تحول في معالجته ، بل إن هذه المبادرة ستطوي مرحلة تأريخية
سابقة وتؤسس لمرحلة أخرى مما يعد مفصلاً تأريخياً في العمل الخيري في المجتمع السعودي.

وقد كشفت هذه الزيارة عن المؤشرات الايجابية التالية:

- ١- أن الفقر في السعودية لم يعد من المفاهيم المغلقة أو من المسائل التي يحرم التعامل معها علناً
بل شكلت الزيارة بلا مواربة أو خجل اعترافاً رسمياً بوجود هذه المشكلة في المقام الأول، فقد
قال خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز في تلك الزيارة: «جئت لتسليط الضوء
على مشكلة الحاجة التي تجعل بعض المواطنين يعانون ظروفًا حياتية قاسية».
- ٢- أصبحت قضية الفقر هاجس القيادة والشعب على حد سواء وحديث المواطن ورجل الشارع
في المنتديات والملتقيات العامة وليس هذا فحسب بل ارتفع سقف الاهتمام والعناية بقضية الفقر
إلى مستوى وضع "استراتيجية وطنية شاملة لمعالجة الفقر في المملكة" وتأسيس "صندوق وطني
لمعالجة الفقر" وحث الأغنياء للمشاركة فيه.. وتخصيص «ملياري ريال» " للاسكان الشعبي"
وزيادتها فيما بعد بثمانية مليارات من الريالات.

وقد تم الانتهاء من إعداد الاستراتيجية الوطنية لمعالجة الفقر بالملكة بصورتها النهائية وكذا الدراسات والتقارير التفصيلية لها والتي يبلغ عددها (١٩) دراسة وتقريراً وقد استغرق الوقت الفعلي لإعداد هذه الاستراتيجية وما صاحبها من نشاطات حوالي أربعة وعشرين شهراً كما أكد ذلك وزير الشؤون الاجتماعية معالي الاستاذ عبدالمحسن العكاس مشيراً إلى الاستراتيجية شملت بيانات ومعلومات تفصيلية حول الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والصحية والتعليمية في المملكة حيث حددت الاستراتيجية مفهوم الفقر وخطوطه ومؤشراته وتوزعه في مناطق المملكة.. كما درست الجوانب الاقتصادية كمعدلات البطالة والاجور وأوضاع المساكن وشملت تقييماً للجهود والسياسات المبذولة للضمان الاجتماعي والجمعيات الخيرية والمؤسسات الخيرية الخاصة ثم قامت بوضع العديد من السياسات والرؤى التي من شأنها معالجة الفقر وحددت ما يناسبها من برامج ومشروعات "جريدة الرياض العدد ١٣٥٥٢، الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة ١٤٢٦هـ - ١ أغسطس ٢٠٠٥م -}

٣- أعطت الزيارة روحاً من التفاؤل والأمل لدى الفقراء في تمكينهم من العيش الكريم وتأمين حاجاتهم الضرورية للحياة للتغلب على محنة الفقر ومصاعبها، بل وليتحولوا بإذن الله إلى الكفاف والغنى من بعد المسألة والفقر.

٤- كما أكدت على واجب القيادة والمواطنين وخاصة الأغنياء منهم تجاه الفقير في المجتمع السعودي وظمان حقوقه الطبيعية في المجتمع. وأدركت القطاعات الخاصة في المجتمع ضرورة المساهمة في المشروع الوطني لمكافحة الفقر فتبنت بعض البرامج والمشاريع الخيرية تأكيداً وأحياءاً لسنن التكافل والتعاطف والتراحم والتضامن الاجتماعي بين المسلمين ليكونوا كالجسد الواحد يتداعى بالسهر والحمى عندما يشتكي أحد أعضائه.

٥- وجاءت الزيارة وما أعقبها من برامج عملية مواكبة للاهتمام العالمي بمشكلة الفقر من ضرورة العناية بالفقراء وتأمين حقوقهم في الحياة وتمكينهم من العيش في حياة كريمة فضلاً عن تأكيدها للبعد الديني والانساني في مسألة الفقر.

٦- كما رسخت الزيارة مبدأ العمل الانساني والخيري في المجتمع السعودي وباركت الجهود والأعمال العظيمة التي تقوم بها المؤسسات والجمعيات الخيرية المحلية في مكافحة الفقر منذ عشرات السنين.

٧- كم أنها رسخت مفاهيم جديدة للتعامل مع مشكلة الفقر والفقراء وأدت إلى ظهور تحولات منهجية في عمل بعض الجمعيات الخيرية التقليدية، التي كانت تعتمد على الدعم المالي المباشر للمتلقين والمستفيد، فظهرت برامج التدريب والتأهيل والقروض الصغيرة، وبرامج الأسر المنتجة ومساعدة الفقير ليساعد نفسه..وهكذا.

وبالرغم من نجاح المؤسسات والجمعيات الخيرية خلال مسيرة الخمسين سنة الماضية في:

{عبدالاله الحيزان، "البر" العدد الرابع، ذو الحجة ١٤٢٤هـ}

١. ترسيخ مفهوم العمل الخيري المؤسسي في المجتمع.
٢. القدرة على الحركة السريعة واتخاذ القرار.
٣. تعزيز الثقة ومصداقية العمل الخيري في المجتمع السعودي.
٤. نقل العمل الخيري من إطار الاجتهاد والاستعجال والحماس غير المرشد إلى مرحلة من التنظيم ووضع الخطط والاستراتيجيات.
٥. شمولية الخدمات المقدمة والتي تفي باحتياجات الناس المتجددة..
٦. التخصص والتركيز في العمل الواحد للوصول إلى درجة من التميز والاحسان فيه.

إلا أن النجاح في تنمية وتطوير العلاقة الخيرية بين الجهات الداعمة والفقير من جهة والمؤسسات والجمعيات الخيرية من جهة أخرى لم يرقى إلى مستوى النجاحات الأخرى، فعلى مستوى العمل الشعبي ظلت مشاريع وبرامج العمل التطوعي ضعيفة المستوى إن لم تكون معدومة أو حبيسة الأدراج لسنوات طويلة، وكان نشوء مشاريع شراكة تنموية مع الأطراف الأخرى الأهلية أو الحكومية (الصحة، التعليم، ...) دون المأمول إذ كان المأمول أن تقوم فيها هذه الجهات بإنشاء مشاريع وبرامج خيرية مشتركة مع القطاع الخيري، وظل الفقير يسير في فلكه الخاص، فلا

علاقة تواصل واتصال مستديمة وغلب على الفقير شعور المتلقي لا المشاركة والاعتماد على الغير دون الرغبة في الاستقلال أو تطوير الذات. وظل الشعور العام لدى الداعمين أنهم مجرد صندوق للأمانات أو حافضة نقود ليس إلا...؟

الهدف

تأتي هذه الورقة محاولة لتأسيس علاقة تنمية مستدامة بين الأطراف الثلاثة في العملية الخيرية ضمن إطار المعالجة النبوية لمسألة الفقر والفقراء في العهد المدني، وانسجاماً مع متطلبات التنمية الاجتماعية للإنسان، وتمكينه من التمتع بحقوقه الطبيعية في المجتمع، وهذه المعالجة تقوم على أساليب مختلفة منها أسلوب الصفة (الظلة) التي كانت في ناحية من المسجد النبوي يؤوي إليها الفقراء وأصحاب الحاجة..

وتمثل هذه الورقة دراسة أولية لاتبحت في الآليات والوسائل والخطط التنفيذية أو تصميم المشاريع والبرامج وإنما تهدف إلى تأسيس إطار نظري لمعالجة الفقر والحد منه مستمدة من أسلوب أهل الصفة وهو أحد الأساليب النبوية لمعالجة الفقر في المجتمع المدني، وهذا الأسلوب يخرج من إطار التنظير إلى ميدان الممارسة ومن سكون الأدراج وأحبار الأوراق إلى كبد الحياة وشجون الانتاج والعمل.. وهذا الأسلوب في نتائجه سيؤدي بإذن الله إلى تعزيز وتمتين علاقة الاتصال والتواصل بين أطراف العملية الخيرية الثلاثة، وتعزيز روح التكافل والتراحم بين أفراد المجتمع ليكونوا كالجسد الواحد في تماسكه وتلاحمه وهي بالتالي ستساهم في تصحيح النظرة تجاه الفقير وتمكينه من ممارسة حقوقه الطبيعية في المجتمع.

نظرية الصفة

تستمد نظرية الصفة أسسها وقواعدها من الأسلوب النبوي في معالجة الفقر في مجتمع المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام والذي عرف فيما بعد بأسلوب الصفة وأهل الصفة ولذا يجدر بنا قبل عرض النظرية التمهيد لها بالحديث عن أسلوب الصفة وأهل الصفة في المجتمع المدني.

ماهي الصفة ومن هم أهل الصفة؟

الصفة: مكان في مؤخرة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم في الركن الشمالي الشرقي منه، غربي ما يعرف اليوم بـ"دكة الأغوات". أمر به - صلى الله عليه وسلم - فظلل بجريد النخل، وأطلق عليه اسم "الصفة" أو "الظلة". وكان يأوى إليها من فقراء المسلمين من لا مأوى لهم ولا أهل ولا جاء.

وقد سئل شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية رحمه الله عن (أهل الصفة) وحالهم وكم كانوا؟ وهل كانوا بمكة أو بالمدينة؟ وأين موضعهم الذي كانوا يقيمون فيه؟ وهل كانوا مقيمين بأجمعهم لا يخرجون إلا خروج حاجة؟ أو كان منهم من يقعد بالصفة؟ ومنهم من يتسبب في القوت؟ وما كان تسببهم؟ هل يعملون بأبدانهم، أم يشحذون...؟ ... فأجاب رحمه الله (بتصرف) {كتاب مجموع الفتاوى، الجزء ١١، صفحة ٣٧}

"...وقد أعدت الصفة لنزول الغرباء العزاب من المهاجرين والوافدين.. وذلك أن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه / صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أن يهاجروا إلى المدينة النبوية، حين آمن من آمن من أكابر أهل المدينة من الأوس والخزرج، وبايعهم بيعة العقبة عند منى، وصار للمؤمنين دار عز ومنعة، جعل المؤمنون من أهل مكة وغيرهم يهاجرون إلى المدينة... وكان فيهم من ينزل على الأنصار بأهله، أو بغير أهله؛ لأن المبايعة كانت على أن يؤوؤهم، ويواسوهم، وكان في بعض الأوقات إذا قدم المهاجر اقترع الأنصار على من ينزل عنده منهم، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد حالف بين المهاجرين والأنصار، وأخى بينهم، ثم صار المهاجرون يكثرون بعد ذلك شيئاً

بعد شيء؛ فإن الإسلام صار ينتشر والناس يدخلون فيه.. ويكثر المهاجرون إلى المدينة من الفقراء والأغنياء، والأهلين والعزاب، فكان من لم يتيسر له مكان يأوى إليه، يأوى إلى تلك الصفة التي في المسجد..

.. ولم يكن أهل الصفة ناسا بأعيانهم يلازمون الصفة، بل كانوا يقلون تارة ويكثرهم أخرى، ويقيم الرجل بها زمانا، ثم ينتقل منها، والذين ينزلون بها من جنس سائر المسلمين، ليس لهم مزية في علم ولا دين، بل فيهم من ارتد عن الإسلام وقتله النبي صلى الله عليه وسلم، كالعربيين الذين اجتتوا المدينة، أي: استوخموها، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بلقاح - أي إبل لها لبن - وأمرهم أن يشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صحوا، قتلوا الراعي، واستاقوا الذود، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم في طلبهم، فأتى بهم، فأمر بقطع أيديهم وأرجلهم، وسمرت أعينهم، وتركهم في الحرة يستسقون فلا يسقون.

وحديثهم في الصحيحين من حديث أنس، وفيه أنهم نزلوا الصفة، فكان ينزلها مثل هؤلاء، ونزلها من خيار المسلمين سعد بن أبي وقاص، وهو أفضل من نزل بالصفة، ثم انتقل عنها، ونزلها أبو هريرة وخبيب وسلمان وغيرهم، وقد جمع الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي في كتاب تاريخ أهل الصفة تاريخ من نزل الصفة وأسماءهم وأخبار جميع من بلغه أنه كان من أهل الصفة..

وأما الأنصار فلم يكونوا من أهل الصفة، وكذلك أكابر المهاجرين - كأبي بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبد الرحمن ابن عوف،

وأبي عبيدة (بن الجراح) وغيرهم - لم يكونوا من أهل الصفة.

وأما حال [أهل الصفة] هم وغيرهم من فقراء المسلمين الذين لم يكونوا في الصفة، أو كانوا يكونون بها بعض الأوقات، ... فكما وصفهم الله تعالى في كتابه قوله: **الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا** {البقرة: ٢٧١: ٢٧٣}.

وكان فقراء المسلمين من أهل الصفة وغيرهم يكتسبون عند إمكان الاكتساب الذي لا يصددهم عما هو أوجب أو أحب إلى الله ورسوله من الكسب، وأما إذا أُحصروا في سبيل الله عن الكسب، فكانوا يقدمون ما هو أقرب إلى الله ورسوله، وكان أهل الصفة ضيوف /الإسلام، يبعث إليهم النبي صلى الله عليه وسلم بما يكون عنده، فإن الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون إليه من الرزق.

وأما [المسألة] فكانوا فيها كما أدبهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث حرمها على المستغنى عنها، وأباح منها أن يسأل الرجل حقه، مثل أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه من مال الله، أو يسأل إذا كان لابد سائلاً الصالحين الموسرين إذا احتاج إلى ذلك، ونهى خواص أصحابه عن المسألة مطلقاً، حتى كان السوط يسقط من يد أحدهم فلا يقول لأحد: ناولني إياه... ولم يكن في الصحابة - لا أهل الصفة ولا غيرهم - من يتخذ مسألة الناس، ولا الإلحاف في المسألة بالكدية، والشحاذة صناعة وحرقة، ..

وأما ما ذكر من تخلفهم عنه في الجهاد فقول جاهل ضال بل هم الذين كانوا أعظم الناس قتالا وجهادا كما وصفهم القرآن في قوله تعالى: [للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون]... {الحشر: ٨}... ولقد قتل منهم في يوم واحد يوم بئر معونة سبعون حتى وجد عليهم النبي موجدة وقتت شهرا يدعو على الذين قتلوهم واخبر عنهم (أنهم بهم تتقى المكاره وتسد بهم الثغور وانهم أول الناس ورودا على الحوض وانهم الشعث رؤوسا الدنس ثيابا الذين لا ينكحون المتعمعات ولا تفتح لهم أبواب الملوك)... " انتهى كلام الشيخ رحمه الله.

ومن أشهر أهل الصفة المنقطعين فيها أبو هريرة - رضي الله عنه - وأكثر الصحابة رواية لحديث الرسول - صلى الله عليه وسلم - كما قال عن نفسه عندما سمع الناس يقولون: أكثر أبو هريرة عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "أما أنتم يا معشر المهاجرين فقد شغلتمكم التجارة، وأما أنتم يا معشر الأنصار فقد شغلتمكم الحقول والمزارع، وأما أنا فقد

لازمت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على ملء بطني فكنت أتعلم من العلم؛ فكيف تقولون: أكثر أبو هريرة.. أكثر أبو هريرة؟".

وقد صور أبو هريرة -رضي الله عنه- حال أهل الصفة وما يصبرون عليه من الجوع، وشدة الحال فقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله كان يقول: (والله الذي لا إله إلا هو، إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع، ولقد قعدت يوماً على طريقهم الذي يخرجون منه، فمر أبو بكر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي عمر، فسألته عن آية من كتاب الله، ما سألته إلا ليشبعني، فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم، فتبسم حين رأني، وعرف ما في نفسي وما في وجهي، ثم قال: (يا أبا هريرة). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (الحق). ومضى فاتبعته، فدخل، فاستأذن، فأذن لي، فدخل، فوجد لنا في قده، فقال: (من أين هذا اللبن). قالوا: أهدها لك فلان أو فلانة، قال: (أبا هريرة). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي). قال: (وأهل الصفة أضياف الإسلام، لا يأوون على أهل ولا مال ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم ولم يتناول منها شيئاً، وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فسأني ذلك، فقلت: وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أنا أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فإذا جاء أمرني، فكنت أنا أعطيهم، وما عسى أن يبلغني من هذا اللبن، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم بد، فأتيتهم فدعوتهم فأقبلوا، فاستأذنوا فأذن لهم، وأخذوا مجالسهم من البيت، قال: (يا أبا هريرة). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (خذ فأعطهم). قال: فأخذت القده، فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القده، فأعطيه الرجل فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القده فيشرب حتى يروى، ثم يرد علي القده، حتى انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد روي القوم كلهم، فأخذ القده فوضعه على يده، فنظر إلي فتبسم، فقال: (أبا هريرة). قلت: لبيك يا رسول الله، قال: (بقيت أنا وأنت). قلت: صدقت يا رسول الله، قال: (اقعد فاشرب). فقعدت فشربت، فقال: (اشرب). فشربت، فما زال يقول: (اشرب). حتى قلت: لا والذي بعثك بالحق، ما أجد له مسلماً، قال: (فأرني). فأعطيته القده، فحمد الله وسمى وشرب الفضلة). ٦٤٥٢ وكان عددهم في هذه الحادثة يبلغ ثلاثمائة رجل..

وعن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: "رأيت سبعين من أهل الصفة ما منهم رجل عليه رداء، إما إزار وإما كساء قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته" (أخرجه البخاري في الصلاة ٤٤٢).
قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - قوله: "لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة" يشعر بأنهم كانوا أكثر من سبعين (فتح الباري ٦٣٩/١).

هذا وافقت معظم الأقوال على أن ما يقرب من أربعمئة صحابي تواردوا على الصفة، في قرابة تسعة أعوام إلى أن جاء الله بالغي، وذلك قبيل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم -. يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - : "لقد رأيت معي في الصفة ما يزيد على ثلاثمئة، ثم رأيت بعد ذلك كل واحد منهم والياً أو أميراً، والنبي - صلى الله عليه وسلم - قال لهم ذلك حين مر بهم يوماً ورأى ما هم عليه.

وقد حكى الإمام القرطبي رحمه الله في تفسيره لقوله تعالى: { "لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعْفُفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" } (البقرة: آية ٢٧٣). عن السدي ومجاهد وغيرهما قال: المراد بهؤلاء الفقراء، فقراء المهاجرين من قريش وغيرهم، ثم تتناول الآية كل من دخل تحت صفة الفقراء غابر الدهر. وإنما خص فقراء المهاجرين بالذكر لأنه لم يكن هناك سواهم وهم أهل الصفة وكانوا نحو من أربعمئة رجل.. قال أبو ذر: كنت من أهل الصفة وكنا إذا أمسينا حضرنا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأمر كل رجل فينصرف برجل ويبقى من بقي من أهل الصفة عشرة أو أقل فيؤتى النبي صلى الله عليه وسلم بعشائه وتنعشى معه. فإذا فرغنا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ناموا في المسجد) ... وكان الرجل من الأنصار يأتي من نخله بالقنو والقنوين فيعلقه في المسجد، وكان أهل الصفة ليس لهم طعام، فكان أحدهم إذا جاع أتى القنو فيضربه بعصاه فيسقط من البسر والتمر فيأكل ما عنده. قال الإمام القرطبي قال علماؤنا: وكانوا رضي الله عنهم في المسجد ضرورة، وأكلوا من الصدقة ضرورة، فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال وخرجوا ثم ملكوا وتأمروا.

ومما سبق يمكننا أن نجمل الحديث عن أهل الصفة في النقاط التالية:

١. الصفة مكان في مؤخرة مسجد النبي صلى الله عليه وسلم ظلل بجريد النخل، وأُطلق عليه اسم "الصفة" أو "الظلة".
٢. وكان يأوى إليها من فقراء المسلمين من لا مأوى لهم ولا أهل ولا جاه.
٣. لم يكن أهل الصفة ناسا بأعيانهم يلازمون الصفة، بل كانوا يقلون تارة ويكثرون أخرى، وقيم الرجل بها زمانا، ثم ينتقل منها.
٤. الذين ينزلون بها من جنس سائر المسلمين، ليس لهم مزية في علم ولا دين.
٥. أن فيهم نزل قوله تعالى: : **الْفُقَرَاءُ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا** {البقرة: ٢٧١: ٢٧٣}.
٦. أن الغالب عليهم كان الحاجة ولا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون إليه من الرزق.
٧. لم يكن فيهم من يتخذ مسألة الناس، ولا الإلحاف في المسألة والشحاذة صناعة وحرفة.
٨. أنهم كانوا أعظم الناس قتالاً وجهاداً كما وصفهم القرآن في قوله تعالى: **[للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون]**.
٩. أنهم صبروا على ما بهم من الجوع، وشدة الحال حتى جاء الله بالغي، فاستغنوا عن تلك الحال وخرجوا ثم ملكوا وتأمروا .
١٠. كان النبي -صلى الله عليه وسلم- يجالسهم، ويأنس بهم ويشركهم في طعامه وشرابه.

-
١١. أن الصحابة كانوا يطعمون أهل الصفة في بيوتهم ويرسلوا إليهم أقتاء الرطب ويعلقونها في السقف حتى يأكلوا منها.
١٢. كان منهم من تعلم القرآن والأحكام الشرعية وحفظ الحديث ومنهم المجاهدون والمقاتلون في سبيل الله.

القواعد الأساسية لنظرية الصفة

تقوم نظرية الصفة على الأسس والقواعد التالي:

١- الطاقة مع الاستطاعة

علة الفقر مبنية على هذه القاعدة فالعجزة وكبار السن والمرضى والأيتام والنساء من المطلقات والآرامل، وأسر السجناء.. وغيرهم ممن لا يملكون الطاقة أو طاقتهم منخفضة ليس لديهم القدرة على العمل والكسب ولذا دخلوا في جملة الفقراء والمساكين الذين يستحقون الزكاة والصدقة أما غيرهم من القادرين على الكسب والعمل مع الاستطاعة فقد قال- صلى الله عليه وسلم- في حقهم في الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي وصححه "لاتحل الصدقة لغني ولا لذي مرة سوي" المرة القوة والشدة والسوي السليم الأعضاء.

وهنا ملحق مهم من حديث أهل الصفة إذ كان يأوى إليها من فقراء المسلمين المهاجرين من لا مأوى لهم ولا أهل ولا جاه وهم من الأقوياء الأسوياء ، لكنهم لا يستطيعون الضرب في الأرض والاشتغال بالتجارة والعمل والاكْتساب ولذا فقد سماهم القرآن الفقراء وهم "الذين أحْصروا في سبيل الله" قال القرطبي قال قتادة وابن زيد : معنى "أحْصروا في سبيل الله" حبسوا أنفسهم عن التصرف في معاشهم خوف العدو . ولهذا قال تعالى : " لا يستطيعون ضرباً في الأرض " لكون البلاد كلها كفراً مطبقاً. وهذا في صدر الإسلام . فعلتهم تمنع من الاكْتساب بالجهاد . وإنكار الكفار عليهم إسلامهم يمنع من التصرف في التجارة فيبقوا فقراء .. وقد أمر الله تعالى بإعطاء هؤلاء القوم . وكانوا من المهاجرين الذين يقاتلون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرضى ولا عميان .

أقول وعدم الاستطاعة هذه لم تكن مطلقة بل كانت محددة بوقت معين وظرف بعينه حتى إذا فتح الله على المسلمين وانتشر الاسلام كان منهم الولاة والأمراء وقد اتفقت معظم الأقوال على أن ما يقرب من أربعمائة صحابي تواردوا على الصفة، في قرابة تسعة أعوام إلى أن جاء الله بالغنى، وذلك قبيل وفاة النبي - صلى الله عليه وسلم- . يقول أبو هريرة - رضي الله عنه - :

"لقد رأيت معي في الصفة ما يزيد على ثلاثمائة، ثم رأيت بعد ذلك كل واحد منهم والياً أو أميراً، والنبى - صلى الله عليه وسلم- قال لهم ذلك حين مر بهم يوماً ورأى ما هم عليه".

فقد يكون الرجل ذا طاقة وقدرة على العمل لكنه لا يجد إلى ذلك سبيلاً لعدم توفر الأعمال المناسبة لقدراته وكفأته أو لأسباب أخرى لعدم توفر المناخ المناسب للعمل والاكتساب أو كانت حاجته أكبر مما يقدر عليه من الكسب وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن أهل الصفة وغيرهم من فقراء المهاجرين أن الغالب كان عليهم الحاجة لا يقوم ما يقدرون عليه من الكسب بما يحتاجون إليه من الرزق.

٢- الفقر يدفع بالنصرة

لقد حالف النبى - صلى الله عليه وسلم- بين المهاجرين والأنصار، وأخى بينهم. وتحمل الأنصار في المدينة واجب النصر لإخوانهم المؤمنين الفقراء من المهاجرين فكان من المهاجرين من ينزل على الأنصار بأهله، أو بغير أهله؛ وكان في بعض الأوقات إذا قدم المهاجر اقترع الأنصار على من ينزل عنده منهم، حتى قيل أنه لم ينزل مهاجر في دار أنصاري إلا بالقرعة قال تعالى: [يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة..] الحشر آية ٩.

لقد أحب الأنصار المهاجرين فلا حسد ولا ضيق نفس بل قاسموهم المال والمساكن وتحول هذا الحب إلى ذروة سنام المحبة.. إلى الأيثار فتنازلوا عن حاجاتهم الخاصة لحساب المهاجرين وعودوا أنفسهم على الحرمان في سبيل أكتفاء إخوانهم من الفقراء مع حاجتهم الشديدة لذلك.. أنظر إلى هذا الأيثار العجيب الذي عجب منه أهل السماء فقد حكى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دفع إلى رجل من الأنصار رجلاً من أهل الصفة.. فذهب به الأنصاري إلى أهله فقال للمرأة هل من شيء قالت: لا إلا قوت الصبية قال: فنومهم فإذا ناموا فأتيني فإذا وضعت فأطفتي السراج قال: ففعلت وجعل الأنصاري يقدم إلى ضيفه ما بين يديه ثم غدا به إلى رسول الله صلى

اللَّهُ عليه وسلم فقال : لقد عجب من فعالكما أهل السماء. ونزلت [ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة] رواه البخاري.

وقد باشر الأنصار واجب النصرة لإخوانهم المهاجرين الغني منهم والأدنى من ذلك فهذا سعد بن عبادة سيد الخزرج في الجاهلية والإسلام وكان مشهوراً بالكرم، يرسل إلى بيوت الرسول صلى الله عليه وسلم الطعام مدة من الزمن، ويطعم أهل الصفة الذين يبلغ عددهم أحياناً ثمانياً رجلاً في اليوم الواحد، وقد آثى عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك على آل سعد بن عبادة.

من يقوم بواجب نصرة الفقير اليوم ٩. لقد استطاعت المؤسسات والجمعيات والجهات الخيرية أن تحمل لواء النصرة للفقراء خلال العقود السابقة والمؤمل اليوم أن ينقل هذا الواجب إلى جوار الفقير إلى جماعة المسجد وإمامه إلى ساكني الحي الواحد إلى المدرسة والمعهد والمؤسسة والشركة. إلى جميع شرائح المجتمع ومؤسساته. وإن على العمل الخيري بمختلف عناوينه أن ينهض بواجب النصرة في الحي الواحد بل وفي المدينة الواحدة حتى لا ينهر السائل ولا يقهر اليتيم . ولتكن نصرتنا ميسرة لامعسرة وجاذبة لامنصرة وجامعة لامفرقة.

٣- لا عيب مع الفقر

الفقر ليس عيباً حتى يُستر وليس بصاحبه تهمه حتى تدفع أو إثماً حتى يُنكر بل هو ابتلاء يحتاج إلى إيمان وصبر وهو ليس قدراً محتوماً أو حرماناً جبرياً بل قد يؤل إلى غنى ويسر . والفقر كسائر الظواهر الاجتماعية يوجد في المجتمعات الفاضلة وفي غيرها ولا يقتصر على المجتمعات الفقيرة أو محدودة الدخل بل والغنية، فمع الفقر الغنى ومع العسر اليسر...!، ولا تنفع التورية فيه أو الصد عنه بزعم العيب منه بل يجب الاعتراف به وتهيأة المناخ اللازم للعلاج وللمجتمع حتى يتقبله وهو كسائر الأمراض منها المزمّن المستعصي وغالبه كالمرض العارض الذي يرجى برؤه عند توفر التشخيص الصحيح والدواء الناجع مع وجود الحماس الوافر والمتابعة الواعية والصبر على ذلك كله. وهكذا كان حديث أهل الصفة فقد سماهم القرآن الفقراء قال تعالى: [الفقراء

المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون [{الحشر: ٨}] .

وهم الذين كانوا في خير القرون...قرن الرسول - صلى الله عليه وسلم - لكنهم صبروا وجاهدوا حتى أتى الله بالفتح والغنى...

٤- الفقير إنسان التنمية

بالرغم من ضيق العيش وقلة ذات اليد في بداية فجر الدعوة في مجتمع المدينة إلا أن سياسة تنمية الانسان الفقير بل والانسان عامة في العهد المدني قامت على جملة من الاجراءات العملية ومن ذلك تأمين المتطلبات الأساسية اليومية من الغذاء والكساء والمأوى للفقراء ، (حق الحياة والعيش بكرامة) وذلك بحسب مقتضيات الحلف الذي عقده الرسول مع الأنصار في بيعة العقبة من الايواء والنصرة ، ثم عقود المواخاة بين الأنصار والمهاجرين(حق المساواة الاجتماعية) ، ثم صحيفة المدينة. ومن ذلك أيضا اتباع سياسة التواصل الدائم مع القيادة السياسية(حق المشاركة في الحياة الاجتماعية وعدم الاقصاء الاجتماعي والحقوق السياسية واتخاذ القرار) والقيادة العلمية (حق التعلم) والقيادة الدينية(حق العدالة والحرية) . كما جاءت مقاصد الشريعة بحفظ الضرورات الخمس وهي الدين والنفس والعلم والعرض والمال وحرمة التعدي عليها.

لقد شارك أهل الصفة في الجهاد وحماية دولة الاسلام قال ابن تيمية.. وكانوا أعظم الناس قتالا وجهادا كما وصفهم القرآن في قوله تعالى: [للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون].... {الحشر: ٨}... ولقد قُتل منهم في يوم واحد يوم بئر معونة سبعون حتى وجد عليهم النبي موجدة وقتت شهراً يدعو على الذين قتلوهم ..

وكان منهم الأمراء والمجاهدين والقراء وكان الصحابي الجليل عبادة بن الصامت أحد نقباء الأنصار ، وكان ممن جمع القرآن في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان يعلم أهل الصفة القرآن {أسد الغابة ٣ / ١٠٦ ، ١٠٧}

لقد جاء أسلوب الصفة في بداية العهد المدني ليؤكد هذه الحقوق ولتمكين الفقير من القيام بدوره في المجتمع وهو كغيره من أفراد المجتمع صانع لهذه التنمية والمستفيد منها، جاء هذا الأسلوب ليرسخ الإيمان بقدرة الإنسان على الصبر والرضا، وقدرته على امتلاك المعرفة والشعور بالثقة والاحساس بالقوة من بعد الضعف والوعي بالذات وبطاقاته وقدراته الإبداعية الكامنة في التفكير والعمل والانتاج.

٥- الفقر مع التعفف خير من الإلحاف في المسألة

ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله عن أهل الصفة وغيرهم من فقراء المهاجرين في موضوع [المسألة] أنهم كانوا فيها كما أدبهم النبي صلى الله عليه وسلم حيث حرّمها على المستغنى عنها، وأباح منها أن يسأل الرجل حقه، مثل أن يسأل ذا السلطان أن يعطيه حقه من مال الله، أو يسأل إذا كان لا يبد سائلاً الصالحين الموسرين إذا احتاج إلى ذلك، ونهى خواص أصحابه عن المسألة مطلقاً، حتى كان السوط يسقط من يد أحدهم فلا يقول لأحد: ناولني إياه... ولم يكن في الصحابة - لا أهل الصفة ولا غيرهم - من يتخذ مسألة الناس، ولا الإلحاف في المسألة بالكدية، والشحاذة صناعة وحرفة،..

قال الامام القرطبي في تفسيره لقوله تعالى: [يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ] أي إنهم من الانقباض وترك المسألة والتوكل على الله بحيث يظنهم الجاهل بهم أغنياء . وفيه دليل على أن اسم الفقر يجوز أن يطلق على من له كسوة ذات قيمة ولا يمنع ذلك من إعطاء الزكاة إليه ... والتعفف .. من عفا عن الشيء إذا أمسك عنه وتنزه عن طلبه . وبهذا المعنى فسر قتادة وغيره . تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ فيه دليل على أن للسيماء أثراً في اعتبار من يظهر عليه ذلك .. فدلّت الآية على جواز صرف الصدقة إلى من له ثياب وكسوة وزى في التجمل . قال: والسيماء: العلامة . وقد اختلف العلماء في تعيينها هنا ، فقال مجاهد : هي الخشوع والتواضع . السدي : أثر الفاقة والحاجة في وجوههم وقلة النعمة . ابن زيد : رثاءة ثيابهم . وقال قوم وحكاه مكي : أثر السجود . ابن عطية : وهذا حسن ، وذلك لأنهم كانوا متفرغين متوكلين لا شغل لهم في الأغلب إلا الصلاة ، فكان أثر السجود عليهم .

قلت : وهذه السیما التي هي أثر السجود اشترك فيها جميع الصحابة رضوان الله عليهم بإخبار الله تعالى في آخر " الفتح " بقوله : " سيماهم في وجوههم من أثر السجود " [الفتح : ٢٩] فلا فرق بينهم وبين غيرهم ، فلم يبق إلا أن تكون السیما أثر الخصاصة والحاجة ، أو يكون أثر السجود أكثر . فكانوا يعرفون بصفرة الوجوه من قيام الليل وصوم النهار . والله أعلم ..

قال القرطبي: واختلف العلماء في معنى قوله " لا يسألون الناس إلحافا " على قولين ، فقال قوم منهم الطبري والزجاج : إن المعنى لا يسألون البتة ، وهذا على أنهم متعففون عن المسألة عفة تامة ، وعلى هذا جمهور المفسرين ، ويكون التعفف صفة ثابتة لهم ، أي لا يسألون الناس إلحافا ولا غير إلحاف . وقال قوم : إن المراد نفي الإلحاف ، أي أنهم يسألون غير إلحاف ، وهذا هو السابق للفهم ، أي يسألون غير ملحفين ...

كيف نصل بالفقير إلى التعفف عن المسألة وعدم الإلحاح في الطلب لنحفظ له ماء وجهه وكرامة نفسه..؟ ما الطريق إلى الفقراء المتعففين كيف نرسخ مفهوم التعفف وعدم الإلحاف في المسألة عند الفقراء وكيف يمكن لأدواتنا ووسائلنا في العمل الخيري أن تساهم بطريقة ايجابية في هذا الاتجاه..؟ لابد من طرح هذه التساؤلات في أدبيات العمل الخيري ومناهجه ومنتجاته ووضع الأطر العملية وتصميم البرامج المناسبة لذلك. ومن ذلك المسارعة إلى تأمين حاجات الفقير اليومية قبل أن يلجأ إلى السؤال..! ولاشك أن هناك جهوداً مباركة للوصول إلى الفقير المتعفف في بعض أطراف العمل الخيري وينتظر أن يتقدم العمل الخيري بعاملته لتحمل مسؤوليته تجاه الفقراء المتعففين.

٦- اليد العليا خير من اليد السفلى

لقد أكد أسلوب الصفة هذا المعنى بصورة جلية إذ لم تكن صفة الفقر ملازمة لمن نزل بالصفة بل إنهم بالإيمان بالله والصبر والكد والتعب استطاعوا أن ينتقلوا من مرحلة العوز والحاجة إلى مرتبة من الغنى والكفاف.. وقد ذكر شيخ الاسلام ابن تيمية في معرض حديثه عن أهل الصفة..

أن الرجل يقيم بها زمناً، ثم ينتقل منها... وقد صبروا على ما بهم من الجوع، وشدة الحال حتى جاء الله بالغنى، فاستغنوا عن تلك الحال وخرجوا ثم ملكوا وتأمروا... فالفقر يدفع بالغنى والحاجة بالقناعة والرضا". وقد ميز الرسول - صلى الله عليه وسلم - بين الغني المنفق والفقير الأخذ "اليد العليا خير من اليد السفلى، واليد العليا هي المنفقة واليد السفلى هي السائلة" {رواه البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ح/٤٠١٢}. وقد حث الرسول - صلى الله عليه وسلم - على طلب الغنى: وكان من دعائه: "اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى" رواه مسلم، ح/٤٨٩٨.

وقد حفلت السنة النبوية القولية والفعلية بالحث على العمل والسعي في الأرض لطلب الرزق.

وقد نزل الصفة من خيار المسلمين سعد بن أبي وقاص، وهو أفضل من نزل بالصفة، ثم انتقل عنها، ونزلها أبو هريرة وخبيب وسلمان وغيرهم ثم جاء الله بالغنى والفتح فكان منهم الوالي والأمير.

ولاشك أن عناية العمل الخيري اليوم ببرامج تدريب وتأهيل الفقراء ومشاريع القروض الصغيرة ومشروعات الأسر المنتجة بشارة خير ودليل عافية فلم تعد محاربة الفقر قاصرة على تأمين الحاجات الأساسية من المأكل والملبس والمسكن بل أصبحت فلسفة مكافحة الفقر اليوم تعتمد على دفع الفقر بالعمل والكسب.

٧- القيادة الواعية ضماناً لنجاح الخطة المحكمة

بالنظر إلى أسلوب الصفة في المعالجة النبوية لمشكلة الفقر يمكن ملاحظة بعض ملامح خطة مكافحة الفقر في مجتمع المدينة:

- ١- تهيئة المناخ العام في المدينة لايواء المهاجرين الفقراء والقيام بواجب النصرة لهم وذلك من خلال بيعتي العقبة الأولى والثانية مع الأنصار وبعث الرسول - - لمصعب بن عمير قبل الهجرة للتبشير بالاسلام في مجتمع المدينة وأعقب ذلك بعد الهجرة عقود الإخاء بين المهاجرين والأنصار وإعلان الحقوق في صحيفة وميثاق المدينة.

- ٢- نقل ميدان المعركة مع الفقر وهزيمته من اهتمام القيادة إلى القاعدة الشعبية في المجتمع.
- ٣- اعتبار أن تنمية الانسان الفقير وتمكينه من التمتع بحقوقه الطبيعية أحد مقتضيات قيام الدولة الفاضلة وأمة الخيرية.
- ٤- الصبر والعمل المتواصل والمتابعة الدقيقة من واجبات الخطة الناجحة.
- ٥- تأكيد الدور الرائد للمسجد في معالجة الفقر.
- ٦- تأكيد الدور الايجابي للفقير في بناء الدولة .
- ٧- مع بذل الأسباب وإيقاع الجهد يأتي التوكل على الله وطلب العون والتوفيق منه.
- ٩- تحريك الهمم وتحفيز طاقات المجتمع المحلي وتعبئة العمل
- ١٠- التطوعي في كل قطاعات المجتمع.
- ١١- تحفيز الفقير للعمل والسعي والضرب في الأرض ، مع تأمين حاجاته الأساسية في الحياة .
- ١٢- اعتبار أن الزمن عنصر أساسي في مكافحة الفقر.

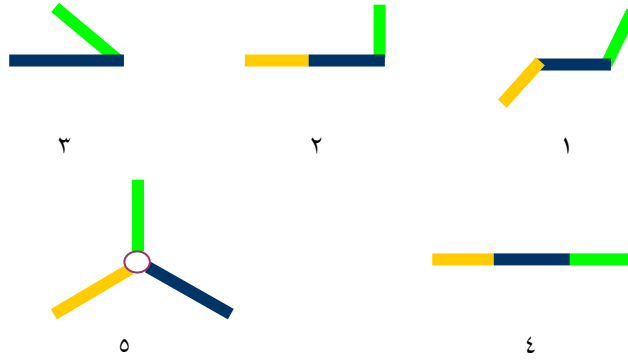
لقد باشرت القيادة النبوية القيادة العملية لمكافحة الفقر في مجتمع المدينة فكان الفقير في عين القيادة وكان الرسول - صلى الله عليه وسلم - يحسب أهل الصفة في عياله فكان يجالسهم ، ويأنس بهم ويشركهم في طعامه وشرابه.

٨- علاقة التكافل رسول التواصل الناجح

تتفاوت طبيعة العلاقات القائمة بين أطراف العملية الخيرية الثلاثة والمثلة أولاً بالجهة الخيرية التي قد تكون مؤسسة خاصة أو مؤسسة عامة مرخص لها قانونياً أو فرد أو مجموعة أفراد من المتطوعين ويقف بإزاء ذلك الطرف الثاني وهو المعني بالعملية الخيرية وهو المستفيد الذي قد يكون فقيراً أو صاحب حاجة محددة بخدمة معينة من الجهة الخيرية. وثالث هذه الأطراف الجهة الداعمة للعمل الخيري أفراداً أو مؤسسات أهلية أو

جهات حكومية.. ماطبيعية هذه العلاقات وما العلاقة المفضلة حسب نظرية الصفة في إطار المعالجة النبوية لمسألة الفقر والفقراء في مجتمع المدينة المنورة وكيف يمكن تعزيز هذه العلاقة وتقوية رابطتها..

الأشكال التالية تمثل نموذجا لبعض أنواع هذه العلاقات في الواقع العملي وذلك في عموم العمل الخيري في المجتمع السعودي . والثلاثة أبعاد في عملية التواصل والاتصال هي أطراف العملية الخيرية :



(المحسن) (الفقير) (الجمعية أو المؤسسة الخيرية)

الشكل (١) درجة السلم وهو أكثر هذه الأشكال تمثيلا للعلاقة الحالية . في هذا الشكل تقوم الجهة الخيرية بدور الوسيط بين المحسن والفقير دون أي علاقة اتصال بينهما وقد تتضخم النظرة إلى الذات من قبل الجهة الخيرية أو الداعم المحسن مما يضعف تعزيز الذات لدى الطرف الثالث المستفيد ، وقد يسيطر على الجهة الخيرية مفهوم الوصاية على المستفيد والقيام بشئونه وإعالته فتقلل من قدرته على اتخاذ القرار أو تأكيد روح المبادرة لدى الفقير وتطوير الذات والسعي في الأرض.

الشكل الأخير (٥) ثلاثي الأبعاد كروي في حين بقية الأشكال ذات بعدين فقط وهي سطحية لاعمق لها وأتم الأشكال هو المجسم بأبعاده الثلاثة الطول والعرض والعمق كأنه يمثل الأبعاد الزمنية الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل ، كل الأشكال تعطي علاقة ارتباط عضوي وتبعية بطريقة أو بأخرى في حين أن الشكل الأخير يمثل علاقة اتصال وتواصل واستقلال عضوي في آن واحد .

ويميز الشكل الأخير(٥) بمايلي:

الاتصال ثلاثي الأبعاد أما الأشكال الأخرى فيكون الاتصال ثنائياً دون الثالث. كثافة العلاقة في بؤرة نقطة الاتصال تقل الكثافة كلما قرر أحدهم البعد عن الآخر وهذا يسمح بالانفصال عند الرغبة في الاستقلال إذ تسمح نقطة الاتصال باستطالة الأطراف بحسب حاجتها لكنها في كل الأحوال مشدودة إلى هذه النقطة. و نقطة الاتصال هذه ليست نقطة اتحاد أو انفصال أو تقاطع فهي نقطة التقاء وافتراق في آن واحد لكنه انطلاق من نقطة الالتقاء. زاوية الالتقاء متماثلة كتلك التي بين المحاور الاحداثية الثلاثة في الفراغ فهي تؤكد المساواة في الحقوق والواجبات بالقدر المتكافئ مما يعطي باقتدار شكل الوحدة المتكاملة لأجزاء مضموم بعضها إلى البعض الآخر في شكل كروي متميز ، مما يشبه علاقة القبضة القوية الودودة الحانية.

تمثل نقطة الاتصال نقطة تبادل المنافع والتواصل ويجمع العمل الخيري الأطراف الثلاثة عند هذه النقطة وتكون العلاقة عند هذه النقطة ساخنة كثيفة لكنها ودودة متراحمة وهي في نتائجها ستودي إلى تعزيز وتمتين علاقة الاتصال والتواصل بين أطراف العملية الخيرية الثلاثة بإذن الله.

أسلوب الصفة عزز علاقة الاتصال بين أطراف العملية الخيرية مع ضمان الخصوصية الذاتية لكل طرف والتكافؤ بين هذه الأطراف في الحقوق والواجبات مع بقاء العلاقة قوية مستديمة ودودة متراحمة.

الخلاصة:

تقوم نظرية الصفة على اعتبار أن الفقير إنسان له حقوق كما أن عليه واجبات في المجتمع وله حق العيش بكرامة وحق توفير احتياجاته الأساسية من المأكل والملبس والمسكن وتعزيز قدرته على العمل والكسب للتحويل إلى حالة من الغنى والكفاف وتمكينه من التمتع بحقوقه الإنسانية الطبيعية وحمايتها ومن ذلك الحقوق الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتعليمية والصحية.. وأن الفقراء شركاء فاعلين في التنمية كما أنهم مستفيدين منها واعتبار أن المجتمع بكل أطيافه شريك في تنمية الفقير وإقامة علاقة اتصال مستدامة معه تعتمد على التفاضل الذي يفضي إلى التكامل وعلى المساواة التي تؤل إلى الاحترام المتبادل.. وأن العمل الخيري هو مظلة الأمان التي يلجأ إليها الفقير عند الهجرة ودوحة الحب التي يستقيء بظلالها المتعب المكدود.!